

الكشاف العربي



أقف اليوم * أمام الكشاف المسلم ، وغداً ان شاء الله امام الكشاف العربي . وان غداً لناظره قريب .

عندما اجتمع الكشاف المسلم في الخيم الصيفي في صوفر طلب اليّ ان اقول كلمة في حفلة الافتتاح . وكان زمام الدولة آنس بيد احد ابناء هذا البلد الطيب . كان ذلك في السادس من تموز في العام الماضي ١٩٤٦ ، وفي التاسع عشر من الشهر نفسه وصلتني نسخة من جريدة كانت تصدر في ذلك الوقت مرة في الاسبوع ، وعند تصفحها وقع نظري على اسمي مكتوباً تحت عنوان هذا نصه : « جيفة لا تعكر بجرّاً » ، وجاء في المقال انني اجنبي اتدخل في شؤون لبنان . وكانت هذه التهمة ألطف ما جاء في المقال . وكان الأولى أن يكون العنوان « فكرة تهز جبلاً » لانني رفعت امام الكشاف فكرة لا ازال اعتنقها وانا دي بها . ولم آت اليوم اليكم لا كلمكم عن ربط العقد والشارات بل لعقد روابط العروبة على الكشاف المسلم في بلد عرف بصفاء عروبه وشدة اخلاصه لها . فاذا لاقت هذه الفكرة استحسانكم آمل ان تعنقوها وتجاهدوا في

* القيت في طرابلس في حفلة الكشاف المسلم .

سبيلها ، وان لم تنله فحاربوها بفكرة احسن منها اذ لا تحارب
الفكرة الا بفكرة .

جئت انادي ان مستقبل العرب يجب ان يكون خيراً
من ماضيهم .

ان في العالم اليوم خمسين مليوناً من العرب تجمعهم روابط
اللغة والتاريخ . ماضيهم مجيد ، مفعم بالمآثر والمآتي ، اما حاضرم
فينوء بالمتاعب والمآسي . وان كان للعرب ان يتمتعوا بمستقبل يليق
بعدهم وتاريخهم وجب عليهم ان يتداركوا الأمر قبل فوات
الاوران . ولا ينفعنا اليوم ان نتغنى بالماضي كما لا يمكننا ان نركن
الى الحاضر . انا اعرف الماضي وافخر بصفاته المجيدة ولا اتصل من
صفحاته المخجلة . غير انني لا استعبد بالاولى ولن ارضى ان استعبد
بالثانية . وانا اعرف الحاضر واخشاه لي وللغرب قاطبة . ولذلك
اسعى في سبيل توجيه النشء الجديد الى ما هو افضل . وانا اعرف
النشء الجديد والمس قواه الكامنة فائق بالمستقبل . ولولا هذه الثقة
وهذا الايمان لما وقفت اليوم انادي بسنة العرب المقبولة .

يجد العرب انفسهم اليوم في وسط فترة من اخرج الفترات التي
اجتازوها في تاريخهم الطويل . فالأخطار الخارجية تكتنفهم وتهدد
صميم كياناتهم . والمشاكل الداخلية ترافقهم وتنقل كاهلهم . سيروا
معي في طول البلاد وعرضها ، ولنركب بساط الريح الى عاصمة
الرشيد ، فنرى العرب هناك في حيرة امام الاخطار الخارجية ،
وفي ارتباك امام المشاكل الداخلية . والحكومات تتعاقب وتحاول
كل منها (باخلاص في اكثر الاحيان) ان تجابه تلك الاخطار ،

وان تحل تلك المشاكل دون ان تصل الى نتيجة حاسمة تتلاءم مع مستقبل الشعب . ولا تختلف الحالة كثيراً في دمشق وبيروت عنها في بغداد . وفي وادي النيل نرى الأزمة تلو الأزمة ، والحكومة تلو الحكومة ، دون ان يرتفع شبح الاخطار الخارجية او تتبدد غيوم المشاكل الداخلية . ولا حاجة بنا ان نخط في عبر الاردن او في القريتين او في بلاد اليمن السعيدة ، ولا ان نخلق فوقها ، لأن السنة الحيرة والارتباك تتصاعد الى السماء وتري من بعد كما كانت مصابيح غمدان تري من رأس عجيب . وما آبار النفط الا لتزيد السننمها التهاها . يقف العرب امام الاخطار الخارجية التي تكتنفهم وامام المشاكل الداخلية التي تنخر عظام كيانهم ، حيارى مرتبكين لا يدرون الى اية منها يعبرون التفانهم ، ايعالجون هذه اولا ويتركون تلك وشأنها الى ان تحل الاولى ؟ ام يعالجون الثانية على ان يتصدوا الى الاولى بعد ان تستقر امورهم الداخلية ؟ ولا نرى اجماعاً بين اولئك الذين يريدون الاستقرار السياسي اولا ، ولا بين اولئك الذين يريدون الاصلاح الداخلي قبل كل شيء . ولو وجد ذلك الاجماع لاستطاع كل فريق ان يجد ضالته ويتفرغ للآخرى . ففي الحقل السياسي مثلاً انبثقت فكرة الجامعة العربية وتجسدت في ميثاقها المعروف . وفكرة الجامعة فكرة محدودة ضرورة الحاضر العرب السياسي وخطوة في طريق الاتحاد فالوحدة . والمصلحة تقتضي التعاون بين الدول العربية لاسيما والاخطار التي نحيط بالواحدة تكتنف الاخرى . ولكن قبل ان ينشف الخبر على سجل ميثاقها ينبوي عبد من عبيد الله يعمل على تمزيقه وتمزيقها ، وآخر

يسعى الى مسخ وسيلة العمل والاتحاد هذه الى قيد يكبل به العرب
وينعمهم من التطور السياسي ، وآخر يريد بقاءها دوماً على
حالتها الحاضرة، مثله في ذلك مثل الصيني الذي يحشر قدمي ابنه في
قالب حديدي حتى لا تنمو وتكبر . ولم تلد الجامعة لتكون يوماً
عقبة في سبيل اتحاد العرب وجمع شملهم .

وهناك فكرة اخرى اتصدى لها لا على سبيل التحييد ولا على
سبيل الشجب بل لأبين اتجاهها خطراً في تفكيرنا السياسي ناشئاً عن
حيرة وارتباك ، تلك الفكرة هي فكرة سورية الكبرى . ولهذه
الفكرة حسنات وسيئات بالنسبة الى مصلحة العرب العامة . غير
ان المعارضة لها لا تزال مقتصرة على الطعن بالملك عبدالله والتهجم
عليه . ولا تجارب هذه الفكرة او غيرها الا بفكرة احسن .

والحيرة والارتباك اللذان نراهما في موقف العرب من الاخطار
الخارجية نراهما في موقفهم من المشاكل الداخلية . اذ نرى في كل قطر
من الاقطار العربية حكومة تلو الاخرى - كل منها تبطل ما بدأت
به سابقتها من اصلاح وتباشر ثانية في درس المشاكل ووضع
البرامج لاصلاحها فلا تنتهي من ذلك حتى تعقبها حكومة اخرى
فتهمل البرامج وتعين اللجان لدرس الحالة من جديد . وهكذا
دواليك ، بينما المشاكل تتزايد ، والحكومات تتعاقب ، والبرامج
المهملة تتراكم والشعب يقف حائراً يحسك رأسه بدلاً من ان
يحسك جلده .

كذلك يقف العرب في جميع اقطارهم حيارى مرتبكين تجاه
اهدافهم القومية والاجتماعية . فهناك العزلة الإقليمية، وهناك

الجامعة العربية على حالتها الحاضرة ، وهناك الكتلة الشرقية ،
وهناك التقرب من الدب نكابة بالاسد ، وهناك الجمهوريون
والملكيون والشيوعيون ، وهناك كل شيء ما عدا الوحدة . وكل
فريق يدعو الى ما هو داع اليه لانه يرى في ذلك استمراراً لمصلحته
الشخصية أو العائلية أو الطائفية أو الاقليمية . اما مصلحة التحسين
مليوناً من العرب فلا تزال مهمة . فابن الاصلاح الداخلي ، وتحسين
الحالة الاقتصادية ووضع سياسة اقتصادية ، للبلاد غير مرتجلة ، وتكوين
الاخلاق الاجتماعية ، ومكافحة الجهل ، وبحر الامية ، ورفع مستوى
المرأة الى مستوى الرجل ، وتعزيز الحياة العائلية ، والقضاء على استعمال
الطائفية اداة للسياسة والحكم ، وقيام الحركة العربية على اكتاف
الشعب المثقف ؟

امن العجب اذاً ان نرى العرب مقصرين عن شعوب أقل منهم
عدداً وعدة ؟ اليس العرب اكثر عدداً من الفرنسيين وأغنى منهم
ثروة وموارد طبيعية ؟ اوليس هم اكثر عدداً من الانكليز وأغنى
منهم ثروة وموارد طبيعية ؟ غير ان هؤلاء متحدون متضامنون
على الخير والشر ، ونحن منقسمون على ذاتنا مختلفون على الخير
والشر . وثروة هؤلاء ومواردهم الطبيعية مستثمرة ، وثرواتنا
ومواردنا الطبيعية مدفونة في بطن الارض وفي بطن الاجنبي . ولأن
نتفق على خطأ خير من ان نختلف على صواب ، ولأن تجتمع كلمتنا
على اذى أفضل من ان نتفرق على احسان .

من الاقوال العربية الماثورة « القوة بالاتحاد والمجد بالعلم » . ومن
البلايا المضحكة ان هذا القول مكتوب بخط جميل عشرات المرات

على اسوار مدينة القدس . ولو عمل عرب بيت المقدس وفلسطين منذ ربع قرن بموجب ما كتبوه على ابواب مدينتهم المسورة لما وصلت البلاد المقدسة الى ما وصلت اليه اليوم . ولو عمل به العرب اليوم لانقذنا مهد المسيح وصخرة المعراج من ايدي النازية الصهيونية والاستعمار البريطاني .

آفة العرب اليوم عدم الاتحاد والجهل وتذبذب في الاخلاق الفردية والاجتماعية . وما لم نقض على هذا الثلاث البغيض بقي العرب قوماً ذوي ماض مجيد فقط . وما نفع الماضي المجيد اذا بقي الحاضر حاضر تعاسة وشقاء ، يسير حثيثاً الى الموت والفناء ؟

وانا اليوم على معرفتي لحاضر العرب وخشيتي منه ، اجاهر ان مستقبلهم لا محالة خير من ماضيهم . أو من بالعرب لاني أو من بالنشء الجديد والمس قواه الكامنة . والنشء العربي الجديد كالركاز الذي صنعت منه الذرة المتفجرة ، فيه من القوى الكامنة ما سيضمن لنا المستقبل وسيقرب اوضاعنا الروحية والنفسية رأساً على عقب . ولن نتوصل الى تلك القوى الكامنة ونستخدمها لمنفعة البلاد العربية الا بعد ان نتغلب على ذلك الثلاث البغيض ونحل محله ثلاث الاتحاد والعلم ومثانة الاخلاق . وانا اعلق على الكشاف العربي كل اماني العرب والعروبة . فشعاركم خدمة الله والوطن وفي ذلك انتم على جغرافية الارض الطيبة - ارض العرب - متفقون ، وعلى جغرافية السماء لا تختلفون . وصفوفكم تضم الغني والفقير والرفيع والوضع . ونظامكم يعلمكم الترتيب والتعاون ويدفعكم في جادة الاتحاد فالوحدة . ومتى استحال الكشاف المسلم الى كشاف

عربي واصبحت هذه الفتوة تضم النشء العربي الجديد على اختلاف الملل والنحل والاقطار العربية والديار ، ينتمي اليها العرب الذين يدينون بدين عيسى والعرب الذين يدينون بدين محمد والعرب من العراق وسورية ولبنان ومصر وشرق الاردن والحجاز ونجد واليمن وباقي الاقطار العربية ، تستجيب هذه الحركة المباركة إلى نواة حية تنمو منها الوحدة العربية . والكشاف في مخيمه وبرياضته ونظامه وتعاونونه لمن اكبر العوامل الموحدة بين جميع طبقات العرب في جميع انحاء بلادهم . والكشاف بتربيته وتدريبه على المهني والحرف وبسعيه وراء العلم وبسفراته ورحلاته في انحاء بلاده من اكبر العوامل الفعالة ضد الجهل . والكشاف بسيرته الطيبة وامانه واخلاصه لمبادئ الحركة الكشفية من اكبر العوامل الفعالة في تقويم الاخلاق الفردية والاجتماعية . والكشاف العربي هو داود البلاد العربية الذي سيرمي جالوتها وكل جالوت يحاول تهديدها وتعييرها بمقلع التعاون واعتماد الاخلاق وحصاة العلم فيرويه . وهو الذي سيقضي على ثالث عدم الاتحاد والجهل وتذبذب الاخلاق ويقيم محله اقاميم الاتحاد والعلم والاخلاق المتينة .

فأنا ادعو الكشاف المسلم إلى اعلان نفسه كشافاً عربياً على ان يدعوا جميع المؤسسات الكشفية في كل قطر عربي إلى أن تحذو حذوه . فيصبح للعرب مؤسسة كشفية واحدة ، ويوحد اللباس كما توحد الشعائر والمناهج والقيادة والاهداف .

ايها الكشاف العربي . انك لن تفوز ما لم تغلب على الحيرة والارتباك اللذين لا يزالان يحولان بين العرب ومساهماتهم في

التاريخ ثانية مساهمة حرة وخلق جزء من حضارة العالم .
ولن تغلب عليها الا عند ترميها بذرة من النفس العربية اذ كاها
العلم وصوبها الاتحاد واطلقتها منانة الاخلاق . عندئذ تستحيل الحيرة
الى طمأنينة ، والارتباك الى ثقة ، والفشل الى نصر ، ويسير الكشف
العربي الى موعده مع المستقبل مرفوع الرأس ثابت القدم قوي
الساعد رابط الجأش راسخ الايمان ، له الرأي وله الارادة ولديه
الافدام والعزيمة ، يتصف بالشرف والصدق والجرأة ، اذا اعتوضه
دجال لا يحجم عن رد تدجيله ، وهو فوق كل شبهة أو ريبة
- في السر والعلانية - هو عربي في سنة العرب المقبولة .

الشهيد



لا يسعني اليوم الا ان أعود الى عشرين سنة مضت الى عام الف وتسعمائة وستة وعشرين . كنت آنئذ في عداد الطلبة الفلسطينيين في الجامعة الاميركية في بيروت ، وكان الفلسطينيون ولا يزالون اشد التلاميذ اهتماماً بالسياسة . وقبيل السادس من ايار من تلك السنة تشكلت لجنة من الطلبة لاحياء ذكرى الشهداء . وكنت من افراد تلك اللجنة . ولسبب لاأزال أجهله طلب الي ان أتكلم عن الطلبة الفلسطينيين . وبعد التردد المعتاد في مثل هذه المواقف قبلت .

جاء اليوم السادس من ايار وخرج التلاميذ الى الرمل . وهناك على الضريح المشترك وقف الطالب الاول للكلام وكان سورياً . وبينما كان « يرتجل » كلمة كان قد أعدها تقدم الي طالب فلسطيني معروف بحسن العبارة وحب المواقف الخطابية وقال : يا نبيه ، اريد ان أتكلم . فاجبت ان برنامج الاحتفال لا يسمح لأكثر من متكلم واحد عن كل قطر عربي ، ولذلك انا مستعد ان أتخلى عن دوري . وهكذا كان .

انتهى الاحتفال وعاد الطلبة الى بيوتهم وعاد جواسيس

الانتداب الى ادارة الامن العام . وفي صباح اليوم التالي صدر امر
بابعاد المتكلمين السوري والفلسطيني بحجة انهما غريبان تدخلا في
شؤون البلاد الداخلية .

كان هذا في ايام الانتداب ، أما اليوم فيقف هذا الفقير بينكم ، ابناني
الاصل ، فلسطيني المولد ، اميركي التبعة ، عربي القلب ، ويتكلم في يوم
الشهداء ، ولا يخشى الطرد والابعاد في صباح اليوم التالي . فالحمد
لله على نعمه التي اسبغها علينا بعد جهاد عقدين من السنين . والحمد
لله الذي اعطانا حكومة وطنية هي على علانها ، خير من أفضل
حكومة انتدابية . والحمد لله الذي اوصلنا الى يوم لم تعد الوطنية
فيه جريمة . ولولا دماء الشهداء لما كانت لنا هذه النعمة .

وها نحن اليوم نحكي ذكرى اولئك الشهداء . غير ان الاجدر
بنا ان نحكي تلك الروح التي دفعت بهم الى ركوب الاعواد في سبيل
العروبة ، لان حاجة البلاد العربية اليوم الى روح لا تحجم عن
الاستشهاد لا تقل عن حاجة العرب اليها يوم علق الشهداء على اراجيع
الشرف . وان الاخطار التي تحيط بالعالم العربي اليوم ، لا تقل عن
الاخطار التي اكتنفته يوم كانت افطاره تنوء تحت نير الأجلاف من
العثمانيين . فالدواوين العرفية آنشد حكمت على الافراد بالموت
العاجل بتهمة الخيانة . واللجان الدولية * اليوم تحكم على الشعب
اجمه بالموت الآجل بجريمة الوطنية . وكما فشلت الدواوين العرفية
آنشد في استئصال الروح الوطنية ستفشل اللجان الدولية اليوم في
استئصالها مما استعملت تلك اللجان من المخدرات . ومستير الاقطار
* اشارة الى اللجنة البريطانية الاميركية في فلسطين .

العربية في طريقها نحو هدفها الاوحد، ذلك الهدف الذي بذل الشهداء في سبيله الحياة ، والذي لا تزال نحن الاحياء نكافح في سبيله - وحدة العرب في جميع الاقطار العربية .

ولا يسعني كلما تأملت فيما ينتاب الاقطار العربية اليوم من محن وما انتابها منها في الامس إلا ان اصل الى نتيجة واحدة : ان النصر حليفنا مهما اكفهرت غيوم اليوم . فقد تعرض الهلال الحبيب منذ بدء تاريخه الى هجمات من الشرق والغرب ؛ وكانت سهوله وبواديه ميادين للقتال بين الفاتحين ، وثرواته الطبيعية مطعماً لشهوات المستعمرين ، ومركزه الجغرافي سبباً للتنافس بينهم ومجلبة للويلات عليه ، غير ان اولئك جميعاً بادوا وانقرضوا وبقي الهلال يحتضن بين قرنيه ابناء البلاد الاصليين . وقد تعرضت الاقطار العربية منذ بدء تاريخها الى هجمات من الشرق والغرب ، فاكسحها الفرس تارة والبيزنطيون اخرى ، وطغى عليها السلاجقة طوراً ، والصليبيون طوراً آخر ، وابتلاها الله بالمغول يوماً ، وبالغول من الغرب يوماً آخر ، وبالممالك برهة وبالعثمانيين برهة اخرى ، غير ان هؤلاء جميعاً بادوا وانقرضوا وبقيت البلاد تغم بنبيها وتحمي ذمارها بهم . وما النزاع الذي نشاهده اليوم في هذه البقعة المقدسة الا موجة اخرى لا بد ان ترتطم بالشرق فتتكسر كما تتكسر امواج المتوسط على شواطئه لبنان وتعود الى اليم خائبة .

هذه هي العقيدة التي مشى عليها الشهداء الى ساحة الموت . وهذه هي الروح التي استولت على من تبعهم في مهرجان الشهادة . آمن هؤلاء بالعروبة ، ووثقوا بها ، وكرسوا حياتهم لها ، ووقفوا

جهودهم عليها ، واضاعوا انفسهم فيها ، ورأوا بعين الرجاء مستقبلها ،
فارتفعوا وطمانينة النصر تكلل رؤوسهم ، وخلفوا لنا مثلاً اعلى
في الجهاد والتضحية .

وللجهاد والتضحية ، على ما ذكره الغزالي ، آداب اهمها صدق
النية . ومتى توفرت هذه الصفة لدى المجاهد او الشهيد تفتقر هفواته
كلها . واذا ندرس حياة اولئك الشهداء الذين قضوا في مثل هذا
اليوم قبل ثلاثين سنة ، نرى ان صدق النية كان متوفراً لديهم الى
اقصى حد . ولذلك تفتقر لهم اليوم هفوة صدرت عن صدق نية
وحسن طوية : ففي جهادهم ضد استبداد العثمانيين خيل لهم ان
الاجنبي سيمد لهم يد المساعدة ، فخابروه وتعاملوا معه بغية منهم في
خدمة القضية التي وقفوا حياتهم عليها . فقدر بهم الاجنبي وكان
من اسباب هلاكهم . ولو قبض الله لنا نحن الاحياء في عالم
الشهادة ان نتصل باولئك الشهداء الخالدين في عالم الغيب ونكلمهم
ونصفي اليهم لسمعناهم يقولون : حذار يا ابناء العروبة ! اجنبي
لا يخلصنا من اجنبي . فان نالكم من واحد شيء لا تتركوا الى غيره ،
بل اعتصموا بالله وانكلوا على قوة اتحادكم . ولا تحسبن برائن الدب
اقل خشونة وفتكاً من برائن الاسد . فدونكم والتعرض
للبلاء والتحلل بالفناء .

« ان السلامة من سعدى وجارتها ان لا تحل على حال بواديهما »
وكأنني بالشهداء الخالدين يتململون محتجين على احتفالات تقام
اليوم احياء لذكراهم على اساس الطائفية والاقاليم على الرغم من
انهم استشهدوا في سبيل العروبة لا في سبيل بلد او اقليم او طائفة .

فلم يميز الجلاد بين العراقي والسوري واللبناني والفلسطيني والمصري والجزائري ، ولم يخصص لعنق المسلم حيلة ولعنق النصراني حيلة اخرى ، ولم يجر في فتكه على اساس طائفي ، بل فتك بالشهداء لعروبته .

والحمد لله على ان جرائدنا المحلية لا تصل الى عل فلا تقع عيون الشهداء على برنامج الاحتفال الرسمي ، ولا ينزعجون من تعدد الخطباء وتعدد ما يمثلون . وهل غاب عن البال ان آخر ما فاهت به شفاء الشهداء عندما امتطوا اراجيح المجد كان العروبة ؟!

والعروبة اليوم تحتاج الى من ينادي بها عقيدة حية فعالة ، وهي في حاجة الى رجال ونساء من ابناؤها مكرسين ، على استعداد ان يستشهدوا في سبيلها . وهي في حاجة اعظم الى رجال ونساء من ابناؤها مكرسين على استعداد ان يعيشوا في سبيلها . فالشهادة المثلى تتجلى في الجهاد المستمر والحياة المنمرة . وكثيراً ما تكون شهادة العيش والعمل اصعب مسلكاً واعظم تضحية من شهادة الموت والفشل . والعروبة اليوم تجابه فترة من التاريخ قد تقرر مصيرها الى اقبال . وهي تدعو جميع ابناؤها وبناتها الى شهادة الجهاد والتضحية في مختلف ميادين العمل ، وهي لا تكتفي ولن تكتفي بالاحتفالات ، والاحتجاجات ، والبيانات ، والخطب ، والقصائد ، بل تنتظر عملاً ايجابياً منظماً مستمراً . ولاولئك الذين يقنعون بالاقوال دون الافعال ، ويظنون انهم يبلغون بها رتبة الشهادة والكمال اقول :

« لو كنت الفي رطل خمر لم تكن لتعير نشواناً اذا لم تشرب »

برز السادس من ايار على العالم العربي قبل ثلاثين سنة بمحنة
كادت تكون القاضية . غير ان يوم البؤس ذلك ما برح ان يستحال
الى يوم سعد ونصر بوحى شهادته وهمة من جاء بعدهم وعمل . وقد
برز الاول من ايار في هذه السنة على العالم العربي بمحنة يتعاضم ظلها
على مهد المسيح وصخرة المعراج . وسنبهن للملأ ثانية اننا كفو
لرفع البلية التي حلت بالبلاد في اول ايار كما رفعنا البلية التي حلت
بها في السادس منه . وبوحى من استشهد ومن سيستشهد ، وهمة من
جاهد ومن سيجاهد ، سيستجبل يوم البؤس هذا الى يوم سعد ونصر .
وسنستمر في جهادنا سنين ان لازم ذلك ووحيدين ان اقتضى الامر ،
الى ان تأتى سنة الرب المقبولة ، فيرفع شبح الاستبداد والاستعباد
والاستعمار عن الارض ويتلاشى ، وتطبع السيوف مناجل ،
والرماح سككا ، ويعود العربي آمناً الى هلاله الحبيب ، فيحرثه
ويزرعه ومجهد غلاته ، من خليج فارس الى وادي النيل .